مقـدمة

كانت الهوية المسلمة وبأساليب متعددة من بين ضحايا الهجمات الإرهابية للحادى عشر من سبتمبر. وكان الإسلام فى الحال - على النقيض من أى أسلوب آخر للحياة، أو أية حركة اجتماعية أخرى - هو الهدف المركزى الذى فُرض عليه التعرض للطعنات، والاختطاف، والركلات، والضربات، والعض بالنواجذ، والقصف من هؤلاء المنتهزين للفرص «الخبراء» فى هذا الصدد. هؤلاء هم الخبراء أنفسهم مثل «ستيف إيمرسون» الذى أضاع مصداقيتهم فى الساعات التى تلت انفجار مدينة أوكلاهوما عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين، عندما قدم معلومات خاطئة للجمهور عن صلات الإرهاب العربى المحتملة التى وجدها من آثار أفعال المجرمين.

لقد عانى الإسلام والمسلمون والقضايا التى تهم المسلمين جميعهم من جراء أعمال قام بها تسعة عشر رجلاً وبما يتنافى مع ما جاء به الإسلام. ترتب على ذلك أن جهود المنظمات التى عملت للحصول على المساواة للمسلمين داخل التعددية المميزة لنا، قد تعرضت للإعاقة لزمن غير قصير، لقد امتلأت أسماع الأمريكيين ونوابهم المنتخبين بسيل عارم من علاقة المحبة - الجديدة نسبيًا - بين الأصوليين من الجناح اليمينى، وبين الصفوة من رجال الإعلام المتنفِّذين، ويتوجب على الذين لا يبتغون الربح من وراء هذه الهستيريا موازنة ذلك من خلال وجهة نظرهم للأمور.

قبل هذه الهجمات، كان الحوار عن الإسلام معاقًا نتيجة غياب عنصر واحد مهم، وهو استماع الأذن غير المنحازة للممثلين الصادقين بحق للمسلمين الأمريكيين، وفى منتصف التسعينيات اشتكى النشطاء من أنه عندما ينشد الإعلام وصناع السياسة التعرف على وجهة نظر المسلمين الأمريكيين، كان المطلوب هو الإجابة عن أسئلة تتعلق بالدين الإسلامى، متجاوزة لحقيقة أن المسلمين هم

أمريكيون أيضًا، ولهم إضافاتهم إلى جميع أوجه التعددية الخاصة بنا، ومنذ الحادى عشر من سبتمبر تدنت مرتبتنا حتى من هذا الوضع، وأصبحنا متهمين بتقديم معلومات مغلوطة عن الإسلام إلى الأمريكيين، وأصبح «دانيال پايپس» مدير «برنامج الشرق الأوسط»، من ضمن البارزين فى مجموعة الذين هرعوا لإعادة تعريف المفاهيم الإسلامية «التى تعلمها من خلال دراسة مراجع مترجمة عن العربية»؛ لتلائم تلفيقاته المشوشة عن هذه القضايا؛ وفى أحد تسجيلات برنامج «التليفون الليلى» من شهر يونيو ٢٠٠٢م شكّك دكتور پايپس فى مصداقية د. ماهر حتحوت، وفى تفسيره لتعبير «الجهاد» (مناقشة ذلك بالتفصيل فيما بعد).

«قول الحق» هو المطلب السائد الذى يجب على المسلمين فى أمريكا أن يقدموه إلى نظرائهم من المواطنين. لقد تصاعد الطلب على شرح حقيقة المسلم بشكل هائل منذ الحادى عشر من سبتمبر، وقد شعر العديد من الأمريكيين بأنهم خُدعوا من قبل أقلية محسوسة تقبع داخل شعبهم، وكمثال على نتائج الهستيريا التى أعقبت المأساة، هو تشجيع الأمريكيين على الاعتقاد بأن الستة ملايين مسلم أمريكى بينهم يضمون شذرات من هؤلاء الذين يقبعون ساكنين فى انتظار فرصة لإجراء المزيد من الهجمات؛ لقد قادت عقلية الخوف هذه وعدم الاطمئنان إلى المستقبل القريب - ويحق لها أن توجد - إلى المزيد من تشوش الرؤية فيما يتعلق بالمسلمين وأسلوبهم فى الحياة.

تذكّرنى الحالة الحالية للمسلمين من كل الأعمار فى جميع أنحاء البلاد بالأشخاص المستدعين قضائيًا للعمل كمحلفين فى نظامنا لاختيار المحلفين، يُطلب من الشخص المستدعى كمحلف من خلال الاستعلام المتقن أن يفشى كل ما له أهمية مما يعرفه، وأن يصف بدقة ووضوح كل علاقة له بحزب أو مجموعة، وبالمثل يتوقع من المسلم فى أمريكا أن يبرهن على وطنيته[1].

ما زلت أؤمن بصفتى مسلمًا أمريكيًا فى حقيقة هوية المسلم الأمريكى، على الرغم من أنها الأيديولوچية التى لا تحظى بالشعبية القصوى داخل دوائر القيادات الشابة فى التجمعات الإسلامية؛ كان صوت الذين فقدوا الاتجاه - بما يكفى للاعتقاد

(١) يتوجب على العديد من غير المسلمين خاصة هؤلاء «ذوى الملامح الأجنبية» إظهار مكنوناتهم؛ لتجنب جرائم الكراهية بطول و عرض البلاد.

أن هوية المسلم الأمريكى تشكل طريقًا مسدودًا فى مسيرته للوصول إلى شخصية المسلم الحقيقى - قد خفت فى قنوات النقاش الاجتماعى منذ الحادى عشر من سبتمبر.

لقد استيقظوا بعد اعتقادهم الزائف فى استحالة التواؤم بين الإسلام وبين الناس فى الغرب وأنظمتهم الديموقراطية، على نتائج نشاط المسلمين الأمريكيين الذى برهنت عليه عقود النضال من داخل المنظمات مثل «مجلس الشئون العامة للمسلمين - MPAC» الذى امتدت داخله جذورى الأيديولوچية. لقد طفا MPAC على السطح بوصفه العمود الفقرى لقيادة المسلمين الأمريكيين من خلال شفافية التبادل مع المباحث الفيدرالية FBI، مروراً بسياسة المحادثات على مستوى حكومة الولاية بشكل معمق من ناحية تحليل القضايا الحساسة والنشاط الفعّال.

الغرض من هذا الكتاب، هو تقديم أحد التصورات العديدة للمسلمين الأمريكيين، عن مكاننا المناسب داخل تعددية العناصر فى الولايات المتحدة؛ ليست النية وراء ذلك تقديم برهان حاسم من جانب المسلمين؛ لأن ادّعاء الإجماع يظلم العقول المجتهدة للمسلمين على اتساع العالم وداخل بلدنا، إن ادّعاء أن الإسلام يقدم صورة واحدة فيه اختزال - بسبب الحاجة للحوار - إلى عبثية القولبة والتنميط. وعلى الرغم من اختلافى التام مع المجموعات الإسلامية التى تنادى بمثل هذه الأفكار من مثل الخلافة بوصفها الأسلوب الوحيد لقيادة الناس إلى أسلوب حياة إسلامية سعيدة فى بعض المناطق النائية، لكننى أؤمن بحق أن الإسلام فى حاجة لتلك الأصوات التى تشى بالتعددية الخاصة بنا والمؤدية إلى الحرية فى التعبير عن وجهات نظرهم.

من أجل فهم كيف يتصور المسلم البيئة المحيطة به، فعلى المرء النظر إلى ثقافة الإسلام عند تطبيقها، وإلى البيئة التى يزدهر داخلها؛ وأنا أقول ثقافة الإسلام عند تطبيقها؛ لأن الإسلام يحمل من التنوع مثله مثل أية قوة أخرى ذكرها التاريخ أتت لإحداث التغيير الاجتماعى.

ينبغى على الحوار الاجتماعى الأمريكى أن يسعى بشدة وراء طبيعة الإسلام مثلما ولدت بأشكالها المتنوعة (من الناحيتين العرقية والفكرية)؛ وصلت طبيعة

الإسلام فى التنوع إلى هذا الإثمار المتميز فقط داخل الولايات المتحدة؛ ومن ثم سوف يجد المرء بمجرد النظرة السريعة الأولى على بعض المؤسسات - مثل المركز الإسلامى لجنوب كاليفورنيا - تمثيلاً لأمم من جميع أنحاء العالم. وفى الحقيقة فقد استمعت لكثير من اللغات داخل هذه المؤسسات بما يماثل تلك التى سمعتها فى القاعة الكبرى للأمم المتحدة.

وبعد... يهدف هذا البحث إلى توضيح دور هوية المسلم الأمريكى داخل فسيفساء التعددية الدولية للثقافات التى تحاول اتّباع القرآن وسنة النبى محمد ﷺ، إنه يمثل امتداداً لكتابات المسلمين الأمريكيين الكبار من مثل د. حسان حتحوت، و د. فتحى عثمان، و د. ماهر حتحوت، من منظور شخصى قد عاش من خلال النموذج الذى رسمته أعمالهم وفقههم بوضوح تام. إنه تعبير عن مسلم أمريكى قد عاش هذا النموذج الأيديولوچى، وتوجه به إلى الأمريكيين فى عدد كبير من المحافل بطول البلاد وعرضها، ويدرك موقع جماعته بوصفها جماعة المسلمين الأمريكيين، ويدرك موقع جماعته بوصفهم أمريكيين فى علاقاتها بالعالم.

الموضوعات التى نُوقشت هى مجرد عينة من القضايا التى لا تحصى، ويقوم مسلم أمريكى بتقديم تحليل ونظرة لها؛ حيث لا يمكن فعل ذلك عن طريق أية شريحة أخرى من تعدديتنا الأمريكية.

* * *